دلالة إيحاءات الجسد وحركاته في القرآن الكريم (دراسة وصفية)

ملخص البحث

أن التواصل بين الناس لا يتم من خلال الكلام فقط، وإنما يشمل صوراً أخرى من أهمها إيحاء الجسد. وأن القرآن الكريم عمل على تنوع الطرق التي يتم بها وصول المعاني للسامع ولم يقف عند حد الكلام وإنما تضمن مواقف يتم فيها توظيف إيحاء الجسد وبيان أهميته في التواصل. غير إن الإشارات وحركات الأعضاء تلعب دوراً كبيراً في عملية التواصل بين الناس. وإن حركات الوجه واليدين لهما دور مهم في عملية التواصل إذ يشكلان أداة لإيصال الأفكار للآخرين.

المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ اللهُ فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أنَّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وبعد:

فإنَّ الاتصال ووسائله يعدُّ من أهم سمات العصر إذ شهد تطورات هائلة في وسائل الاتصال، والتواصل، فتعددت وسائله ما بين المقروء والمسموع، والمرئي، ويبقى الاتصال منقوصاً في حال لم يحقق التواصل المرئي، فاللغة وحدها لا تكفي لإيصال المعرفة بشكلها الصحيح، وإنما يلزمها تواصل بصري، فهو القادر على إيصال العواطف، والانفعالات التي تغني هذه المعرفة وتجعلها ذات معنى أكبر فإيحاءات الجسد وحركاتهُ لها أهمية في التواصل البشري، وإيجاد تأثير عميق في الآخرين، مما دفع علماء الاتصال إلى زيادة اهتمامهم بهذا الموضوع. وفي السياق ذاته برزت محاولات لبعض الكتاب للإشارة إلى وجود هذه الإيحاءات في القرآن الكريم والسُنّة النبوية[1]، ولعل من أهم هذه الإشارات القرآنية التي فتحت أعيننا على هذا الموضوع قوله تعالى:﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [2] ، وقوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[3]، فاستعمل الإشارة في الآية الأولى، والرمز في الآية الثانية يمثل دعوة إلى استعمال إيحاءات الجسد ومن هنا انطلقت فكرة الكتابة في موضوع إيحاءات الجسد في القرآن الكريم للنظر في دلالة هذه الإيحاءات ومدى تأثيرها في الآخرين، فالقرآن الكريم بحر زاخر بما فيه من علوم، وما يحتويه من إشراقات ربانية.

وقد قمتُ بتقسيمه على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة جاعلة المبحث الأول :لبيان معنى إيحاءات الجسد وحركاتهُ، وقد تضمن مطلبين: المطلب الأول: في تعريف الإيحاءات الجسدية وبيانها في السياق القرآني، والمطلب الثاني: في بيان الإيحاء الجسدي بين المفهوم القرآني، والمفهوم العصري، والمبحث الثاني: للحديث عن إيحاءات الجسد بشكل عام، وقد تضمن مطلبين: المطلب الأول: تحدثت فيه عن الإيحاءات الجمالية للجسد في القرآن الكريم، والمطلب الثاني: لبيان الجسد القوي وإيحاءاته. واعتمد البحث على مصادر كثيرة تنوعت بين كتب التفسير القديمة، والحديثة، وكتب الحديث، ومعاجم اللغة، وكتب إسلامية في مجالات مختلفة.

وبعد فأسأل الله العليَّ القدير أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، فإذا خطف بصري زلل فهو من ظلمة الشيطان، وإذا برق به حق فهو من تمام نور الله وكمال حمده.

الباحثة

المبحث الأول

معنى إيحاءات الجسد وحركاته

المطلب الأول

تعريف الأيحاءات الجسدية وبيان سياقها القرآني

أولاً: تعريف الإيحاءات الجسدية

من الواضح أن مصطلح إيحاء الجسد هو مصطلح مركب من كلمتين هما: إيحاء والجسد. وبالرجوع إلى معاجم اللغة، نجد أن كلمة (إيحاء) تعني : " الإيماء والتنبيه على شيء من غير أن يفصح عنه "[٤]. وكلمة (جسد) تطلق على " جسم الإنسان "[٥]. وإيحاء الجسد: هو تواصل غير شفهي[٦]، وهو أيضاً: " الحوار النفسي الذي يجري بين الأطراف المعنية والمعاني المنتقلة بينهم، لا من خلال النطق، بل من خلال الصمت والملامح العامة للإنسان الصامت؛ كنظرات العيون وتعبيرات الوجه وحركات الجسم "[٧].

فإيحاء الجسد هو إشارات وإيماءات جسدية تنطلق من جسم الإنسان لإيصال مفاهيم أو رسائل معينة للآخر.

ثانياً: الإيحاءات الجسدية في السياق القرآني:

إنَّ الناظر في آيات القرآن الكريم، وتفسيرها، يدرك بكل وضوح، استعمال القرآن الكريم للكثير من المصطلحات الدالة على إيحاء الجسد منها قوله تعالى:﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[٨] . قال ابن الجوزي: " (فأشارت) أي: أومأت (إليه) أي: إلى عيسى فتكلم. وقيل: المعنى أشارت إليه أن كلموه "[٩].

وقال الآلوسي: " والظاهر إنها بينت حينئذ نذرها وإنها بمعزل من محاورة الإنس حسبما أُمِرَتْ، ففيه دلالة على أن المأمور به بيان نذرها بالإشارة لا بالعبارة"[١٠]. فقد أدت إشارة مريم عليها السلام ما يؤديه الكلام.

وقوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[١١]. قال الزمخشري: " (إلاّ رمزاً) إلاّ إشارة بيدٍ أو رأسٍ أو غيرهما وأصله التحرك"[١٢]. قال البغوي: " والإشارة قد تكون باللسان وبالعين وباليد " [١٣]. فالرمز سد مسد الكلام، وأدى الرسالة نفسها التي يؤديها.

المطلب الثاني

الإيحاء الجسدي بين المفهوم القرآني والمفهوم العصري

يمثل إيحاء الجسد جانب الاتصال الصامت، أو غير اللفظي الذي يتم بصورة منفصلة عن النطق أو مرافقة له، وقد عرّفه محمد الأمين بقوله: " هو الرسائل التواصلية الموجودة في الكون الذي نعيشه، ونتلقاها عبر حواسنا الخمس، ويتم تداولها عبر قنوات متعددة، وتشمل كل الرسائل التواصلية حتى تلك التي تتداخل مع اللغة اللفظية والتي تعتبر من ضمن بنيتها، وتتجلى وسائل الاتصال غير اللفظي عبر سلوك العين، وتعبيرات الوجه، والإيماءات ، وحركات الجسد، وهيئة الجسد وأوضاعه "[١٤].

إنَّ أصحاب هذا الفن من الغربيين، أما علماء العرب لم يهتموا به إلاّ حديثاً وبمحاولات بسيطة. يقول الدكتور محمد الأمين: " إنَّ القرآن الكريم يغني هذا العلم بالعديد من المفاهيم والمواضيع التي تستحق الدراسة، ويزوده بأمثلة، لا يمكن للباحثين جمعها من خلال أبحاثهم الميدانية "[١٥]، ويقول أيضاً: " تبين أن القرآن الكريم حافل بالأمثلة الكفيلة بإثبات أن قناة الاتصال اللفظي التي هي قيد الدرس، يمكن فهمها من خلال القرآن الكريم، بمعزل عن الدراسة الحديثة، وفي بعض الأحيان، يزودنا القرآن الكريم بنواة لمعجم عن مفردات قناة اتصالية غير لفظية بعينها "[١٦].

ومما سبق يتبين أن القرآن الكريم هو المرجع الأساس لهذا الموضوع: قال تعالى:﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[١٧].

أما إيحاء الجسد من المنظور العصري، فإنه لا يبتعد كثيراً عما جاء في كتاب الله تعالى، فإن الباحثين في هذا الفن يجدون التقارب والاتفاق بين المنظور القرآني والعصري في الكلام عن إيحاءات الجسد، والباحثين في الجانبين يبحثون للوصول إلى مدلولات الحركات الجسدية سواء أكانت مستقلة أو مرافقة للغة المنطوقة، فترى العلماء الذين تكلموا في لغة الجسد وإيماءاته من منظور قرآني يؤكدون على أهميتهِ في التواصل الإنساني وتوصيل المعلومة القرآنية للسامع[١٨]، فالقرآن الكريم ورد فيه ما نسبته ٧٢% من الآيات التي تضمنت الاتصال غير اللفظي والذي من جملته حركات الجسد وإيحاءاته، وهذه النسبة تبين مدى تواجد الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم[١٩].

أما العلماء الذين تكلموا عن إيحاء الجسد وحركاته في حياتنا اليومية يؤكدون على أهميتهِ في التواصل الإنساني. يقول الدكتور نضال أبو عياش: " لا يقتصر نقل الأفكار والمعاني على استخدام الكلمات المقروءة أو

المنطوقة، بل هناك وسائل أخرى يتم من خلالها الاتصال، وتكاد تكون أكثر من تلك التي نتبادلها من خلال الاتصال اللفظي. وفي الحقيقة فإننا غالباً ما ننقل رسائل غير لفظية، وتكون في الغالب من طابع المشاعر والأحاسيس والعواطف، بينما يكون الاتصال اللفظي في الغالب للتعبير عن الأفكار وتبادل المعارف "[٢٠].

ومما سبق يتبين لنا أن إيحاء الجسد وحركاتهِ له تأثير في الحوار وتوصيل المعلومة والأفكار بصورة تفوق الكلام.

المبحث الثاني

إيحاءات الجسد بشكل عام

المطلب الأول

الإيحاءات الجمالية للجسد في القرآن الكريم

لجمال الجسد وهيئته أثر كبير في الناس وجذبهم، وقد شغل الجمال بمختلف صوره عقول الناس قديماً وحديثاً، والذي يهمنا من صور الجمال جمال الهيئة والطلعة فلها دلالاتها في الاستعمال القرآني لكن قبل هذا علينا أن نبين أن ماهية الجمال قد تعددت تعريفاته عند الفلاسفة والمفكرين حتى ضاع معها الجمال فلا يزداد القارئ إمعاناً فيها إلاّ ازداد في الجمال جهلاً؛ لأن الجمال يستعصي على الحصر والتحديد وهو إحساس داخلي ينبعث من داخل النفس الإنسانية أكثر من كونه هيئة محسوسة. وقد يكون للجمال مواصفات شكلية لكنها تختلف من متلقٍ إلى آخر باختلاف الثقافة والخبرة ولهذا لا يكاد يجتمع الناس على مفهوم محدد للجمال؛ لأن الأذواق مختلفة. إنَّ الجمال جمال بما تولد النفوس من معانيه وتقيس من متشابهه وتتخيل من دلائله وإشاراته إلاّ بما يلقاه بها من حدود وزخرف، والقرآن الكريم يؤكد على أن الجمال الحقيقي هو الذي يتوازى فيه جمال الظاهر والباطن فإن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن وأن الجمال الظاهر إذا خلى من الجمال الباطن فأنه يكون مظهراً بلا معنى. وقد وجدنا دلالات إيحاءات الجمال الجسدي في القرآن الكريم متمثلة في القصص القرآني[٢١]، لذلك سأحاول استعراض هذه الإيحاءات على النحو الآتي:

أولاً:قصة يوسف (عليه السلام) وتأثير الجمال: في قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) يبرز تأثير الجمال واضحاً بيناً، فسيدنا يوسف عليه السلام قد أوتي شطر الجمال كما ورد عن رسول الله(ﷺ). في حديث الإسراء عن النبي (ﷺ) أنه قال: (ففتح لنا

فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذ هو قد أعطي شطر الحسن فرحبَ ودعا لي بخير) [٢٢]. وجاذبية الجمال في قصة يوسف عليه السلام تمثلت في لقطات: اللقطة الأولى جاءت مع امرأة العزيز وقد أسرها جمال يوسف (عليه السلام)، والثانية مع نسوة المدينة وقد سحرهن جماله لما رأينه، فلنبين هاتين اللقطتين من القصة:

١-امرأة العزيز وجمال يوسف (عليه السلام): لقد ملك جمال يوسف (عليه السلام) وحيويته وشبابه امرأة العزيز، التي تربا على يديها (وسيطر عليها الهوى وضعف..... ومن ثم كان الحدث القصصي من نهاية العشق الذي ترسب في النفس على مدى زمن النمو، إن نهاية العشق هو الإسفار في المراودة وطلب الفعل)[٢٣] بقوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[٢٤]. يبدأ النص في بيان أثر الانفعال النفسي عند هذه المرأة التي أسرها الجمال فعبر عن ذلك بفعل المراودة الذي هو بمعنى المخادعة والمخاتلة والتجسس من النفس في أسلوب من التلطف والاحتيال[٢٥]، فلما لم يعبأ لمراودتها هذه استعملت أسلوب الإشارة والتصويت فقالت هيت لك فهو صوت استدعاء لهذا الأمر الذي يكون بين الرجل والمرأة[٢٦]، ثم ازدادت بها الشهوة والاندفاع فهرعت إلى الأبواب تغلقها وهي التي تولت بنفسها الإعداد لهذا الأمر الذي دعته إليه فهي التي راودته عن نفسه بما ألقت إليه من كلمات وإشارات وتلميحات وهي التي غلقت الأبواب فكانت تلك دعوة صريحة منها إليه ثم هي التي حين رأت أن ذلك كله لم يدعهُ إليها ولم يقربه منها دعتهُ إلى نفسها وقالت هيت لك أي ها أنا ذا فأقبل[٢٧]، وهذا ما لا تفعله الحرة ذات الجاه والسلطان إلاّ إذا كانت قد استبدت بها الرغبة ثم لم تجد من الجانب الآخر استجابة منه لها عندئذ تخلع عنها حياءها وتتخلى عن مكانتها كمرأة تطلب ولا تطلب وفي كل هذا ما يحدث عند تعطف سيدنا يوسف (عليه السلام) وامتلاكه لواء الشهوة أمام هذه المغريات التي ينحل لها عزم الرجال وتطيش معها أحلام ذوي الحلوم[٢٨]، من ها هنا أجزل الله المثوبة والأجر لمن لا يجذبه الجمال الخداع إلى معصية الله، فقد ورد في الحديث الشريف: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله..... رجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله)[٢٩].

فالمرأة هنا تبرز جمالها في رسالة واضحة يفهمها الرجل لكنه يستعصم بالخوف من الله وأسلوب الرد هنا يدلل على قوة تأثير رسالة المرأة عبر جمالها[٣٠]، والقرآن في تصويره لهذا المشهد يعرضه لنا بإيجاز إذ لا يهتم بتصوير لحظات الضعف ولا يتشعب في عرضها كما هو حال القصص السينمائية مثلاً حين تبيح المنكرات وتبرزها إنما كان تصويره سريعاً (ليسلط الأضواء على لحظة الإفاقة من سكرة الهوى؛ ولأنه لم يشأ أن يجعل من ذلك معرضاً للجمال والإغراء حتى لا يوسع دائرة الشوق الجنسي بحصر أشواق الإنسان في تلك اللحظة العابرة..... إن القرآن لا يهتف نقص الإنسان وهبوطه ولكنه يهتف له بأشواق السمو والاستعلاء)[٣١]. إذن هذه اللقطة الأولى من قصة يوسف (عليه السلام) وقد ظهر فيها أثر الجمال واضحاً كيف أنه دفع امرأة العزيز أن تراود فتاها عن نفسه أنه سحر الجمال وتأثيره الذي يدفع المرأة أحياناً إن لم يعصمها إيمان وخلق إلى السقوط في حمئة الرذيلة.

٢-تأثير جمال يوسف على النسوة: في هذه اللقطة الثانية من قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) يصور لنا القرآن كيف أثر الجمال على النسوة تأثيراً بليغاً وجاء التعبير عن هذا بقوله تعالى:﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[٣٢]. يبدأ هذا المقطع بالحديث عن النسوة اللواتي سمعن بأن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه وكيف أن هذا فعلاً كبيراً لا ينبغي أن يصدر من امرأة عزيز فأرادت المرأة أن تبين لهن أثر جمال يوسف (عليه السلام) وتأثيره بصورة عملية واقعية[٣٣]، فجأة ولتنتقم لنفسها قال تعالى:﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[٣٤]. القرآن الكريم هنا يحيط بتصوير حيثيات هذه المأدبة ويجعلنا نتخيل تلك الأجواء فالمفارش من أفخم المفارش والثياب من أرقى الثياب والمطعوم والفواكه من أشهى المطاعم والفواكه التي قدمت معها السكاكين الحادة وكأنها مقصودة في هذا الحدث. وتجلس النسوة لمقتضى حال القصور ورفاهيتها متكآت وفي يد كل واحدة منهن فاكهة وسكين وننظر كيف تتحين المرأة ومتى تضرب ضربتها وتأمر يوسف بالخروج عليهن، ولم تصور درجة ذهولهن كما صورها القرآن على الإطلاق إذ عرضت (هذه الحقيقة في حركة تصويرية أخذت تشي بالدليل القاطع على الجمال المصفى الذي استلهم به يوسف فها هي السكاكين في ذهول النسوة من الجمال تمشي بإرادة مذهلة لتقطع الأكف بدلاً من قطع الفاكهة)[٣٥]. إن ردة الفعل التي أحدثتها النسوة لتدل دلالة واضحة على التأثير القوي لجمال يوسف ففي البداية كان الانفعال والتأثير لهذا الجمال عن طريق الاستعظام وقد أكبرنه أي أعظمنه، وهين ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق[٣٦]، وقيل في تفسيرها وجه آخر أي حضن[٣٧]، وهذا وجه ضعيف لا يحتمله النص، لأن النص يتحدث عن لحظة ذهول وانبهار بجمال يوسف، وهذا لا يكون إلاّ مع الاستعظام والهيبة من هذا الجمال الفائق ثم أن ما بعده فسره وهو فعل تقطيع الأيدي وهذا لا يكون إلاّ من

دهشة وحيرة وليس حيضاً كما ذهب بعض المفسرين، وبعد هذا الانبهار للجمال أحدثن فعلاً آخر بتقطيع أيديهن وأريد بالقطع الجرح أطلق عليه القطع مجازاً للمبالغة في شدته حتى كأنه قطع قطعةً من لحم اليد[٣٨]، بعد الاستفاضة من هذا الذهول نزهن يوسف عن أن يكون جماله جمالاً طبيعياً يعبرن عن ذلك في قولهن: (قلن حاشَ لله) وهي كلمة تنزيه تقال في هذا الموضوع تعبيراً عن الدهشة بصنع الله[٣٩]، ثم نفين عنه البشرية، قال تعالى:﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[٤٠]؛ لأنهن لم يشاهدن مثل هذا الجمال على أحد من البشر أبداً ووصفهن بأنه ملك وذلك بناء على ما ركز في النفس أن لا شيء أحسن من الملائكة[٤١]، هكذا يبرز لنا دور الجمال وأسره واضحاً بيّناً في قصة يوسف عبر هاتين اللقطتين اللتين عرضنا لهما، فجمال الهيئة له أثره وأسره في نفوس الآخرين.

ثانياً: قصة قوم لوط والإيحاءات الجمالية:

تعطينا قصة قوم لوط دلالة واضحة على تأثير الجمال الظاهر على النفوس فقوم لوط كما هو معروف قوم انتكست فطرتهم فأخذوا يأتون الذكران من العالمين والذي يهمنا من هذه القصة هو مجيء الملائكة أضيافاً عند لوط (عليه السلام) وكيف أن هيئتهم قد أسرت نفوس قومه فراودوه عن ضيفه ذلك أن الله قد أرسل الملائكة لإهلاك قوم لوط بعد أن ارتكست فطرتهم وأعيوا كل معالج فجاءت الملائكة لتخلص الأرض من دنسهم وللملائكة قدرة على التشكل في صورة بشر لكن طبيعتهم الملائكية لا تفارقهم فهم في أجمل صورة وأحسن مظهر فجاءوا إلى لوط (عليه السلام) في صورة الأخيار النازلين بزي الكرم وذلك ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله:﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[٤٢].

فقد ضاق النبي بأضيافه وضيقه ليس ضيق شح ولا عدم إقراء للضيف وإنما ضيق من قومه وسلوكياتهم لما علم من أن قومه يؤسرهم الجمال الظاهري وقد يفضحونه في ضيفه وجاء الصريخ إلى قوم لوط أن لوطاً قد نزل به شباب لم ينظر إلى مثل حسنهم ولا جمالهم الناظرون ولا رأى مثلهم الرائي فنادى قوم لوط بعضهم بعضاً أن هلّموا إلى منزل لوط ففيه قضاء الشهوات ونيل أكبر اللذات[٤٣]، قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٤٤]، فقد عبّر عن أسر الجمال لهم وجذبه إليهم بالفعل (يهرع) والذي هو بمعنى المشي الشبيه بمشي المدفوع وهذا الفعل لا يكون إلا مبنياً للمفعول؛ لأن أصله مشي الأسير الذي يسرع به وهذا البناء يقتضي أن الهرع هو دفع الماشي حين مشيه إلاّ أن ذلك تنوسي وبقي هرع بمعنى سار سيراً كسير المدفوع[٤٥]، والدافع هنا هو الشهوة الجامحة الفاسدة العاشقة للجمال الظاهر[٤٦]، هكذا رأينا كيف أن الجمال وحسن الهيئة يجذب المقابل حتى يجعله يسرع من غير رؤية ولا

تفكير وهكذا كان قوم لوط فاستحقوا الهلاك وهذا مشاهد في واقعنا فترى الإنسان الذي خلا قلبه من الإيمان ينجذب لجمال ظاهري عند المرأة من غير تفكير بالحرمة من هنا جاء التوجيه الإلهي بغض البصر ووجوب الاحتجاب للمرأة.

ثالثاً: إيحاءات الجمال النبوي:

النبي محمد (ﷺ) آية في خُلُقه وخَلْقه، قال تعالى في وصف نبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[٤٧] (تشبيه بليغ بطريق الحالية وهو طريق جميل أي أرسلناك كالسراج المنير في الهداية الواضحة التي لا لبس فيها والتي لا تترك في الباطل شيئاً إلاّ وفضحته وأوقفت الناس على دخائلها كما يضيء السراج الوقاد ظلمة المكان وهذا الوصف يشمل ما جاء به النبي (ﷺ) في البيان وإيضاح الاستدلال وانقشاع ما كان قبله من أديان من مسالك للتبديل والتحريف وشمل ما في الشريعة من أصول الاستنباط والتفقه في الدين والعلم. إنَّ العلم يُشبه بالنور فناسبه السراج المنير)[٤٨]. والرسول (ﷺ) سراج الأمة يهديها بإذن ربه إلى الصراط المستقيم وقال تعالى في وصفه أخلاق النبي (ﷺ) :﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[٤٩] فقد وصف الخلق العظيم بعد أن رماه المكذبون بالجنون وفي هذا رد عليهم؛ لأن الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية كانت ظاهرة منه ومن كان موصوف بتلك الأخلاق والأفعال لم يجز إضافة الجنون إليه؛ لأن أخلاق المجانين تكون سيئة[٥٠]، وقال تعالى يذكر فضله عليه ومعونته له وقت الشدائد وهي دليل قوته ونصرته وتأييده:﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٥١]. وقد كان (ﷺ) بغاية الكمال والجمال الجسماني والروحاني وقد وردت آثار كثيرة تحكي صفته الشريفة وجماله العظيم وأثر ذلك في نفوس صحابته، من ذلك ما ورد عن أبي هريرة (ﷺ) أنه قال: (ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه صلى الله عليه وسلم) وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من النبي (صلى الله عليه وسلم) كأن الأرض تطوى له وإنا لنجتهد وأنه لغير مكترث (ﷺ)[٥٢]، فقد وصف حسنه بالشمس الجارية (ﷺ) ومشيته بمشية من تطوى له الأرض وفي ذلك تمام الجمال. وعن كعب بن مالك (ﷺ) قال: (كان الرسول (ﷺ) إذا تبسم استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك)[٥٣]، فالنبي (ﷺ) هو كالشمس والقمر في عيون أصحابه وذلك لما أوتيهِ من جمال الصورة وجلال النبوة فلم يجدوا شيئاً من الأجسام النورانية إلاّ وشبهوه به وهذا دليل جماله ولم يتركوا شيئاً يدل على الوضاء إلاّ وألحقوه به وهذا دليل جلاله فهو نور وبدر وشمس وبرق وسيف صلوات الله وسلامه عليه وفي هذه التشبيهات دلالة على ما كان يتأثر في نفسهم من السرور والابتهاج والشعور بالعظمة والارتياح عند رؤيته عليه الصلاة والسلام حتى أن مجرد رؤيته لتدل على صدق نبوته وهذا يؤكد أن الجسد الشريف آية من آيات الله وفيه بحد ذاته دلالة على صدق النبوة

فكيف إذا اجتمعت له مع هذا بلاغة الكلام وجوامعه والمعجزة القرآنية الباهرة وغير ذلك من المعجزات النبوية الكثيرة إذ على وجهه بدت الأنوار (ﷺ) وعلى ظهره كان خاتم النبوة وفي مشيه وحركاته كان يظهر الجلال والجمال وعلى لسانه الشريف كانت تظهر الآيات والبراهين ألا يدل هذا كله على أن للجسد لغة تخبر عن حال صاحبها ومثل ما يخبر لسانه وأن الله قد جعل صدق محمد (ﷺ) في كل شيء جعله بشهادة جسده الشريف وصدق لسانه وعذب بيانه[٥٤]،(ﷺ) وأحسن البراء بن عازب حين وصفه بقوله: (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير)[٥٥] فهذا هو الاعتدال الذي فيه يكون الحسن والجمال

المطلب الثاني

الجسد القوي وإيحاءاته

الجسد القوي ذلكم الجسد الذي يحدث تأثيرات مختلفة في الآخرين من خلال استواء بنائه وتكامل قدراته ذلك أن القوة في الجسد تعد من متممات البناء للجسد فللقوة تأثير كبير على الآخرين لذلك امتدحها القرآن الكريم كثيراً وحثَّ في الكثير من الآيات عليها ومَنَّ على بعض الأقوام بأن أعطاهم القوة الجسدية فقد وردت القوة بمختلف متعلقاتها في القرآن الكريم في اثنين وأربعين موضعاً[٥٦]. أحياناً تتعلق القوة بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى:﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [٥٨]، وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[٥٩]، وأحياناً يأمر الله بتلقي أوامره بقوة، قال تعالى:﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾[٦٠]، وقال تعالى:﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ﴾[٦١]، وأحياناً يأمر باتخاذ أسباب القوة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [٦٢]، وأحياناً يأتي الامتنان بإعطاء القوة قال تعالى:﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ [٦٣]، وقال تعالى:﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ﴾[٦٤] ، وأحياناً تأتي القوة لتشير إلى تقلب الأحوال، قال تعالى:﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[٦٥]. وهكذا تتنوع صور القوة في القرآن الكريم لكن الذي يهمنا من صور القوة هذه ما يتعلق بالقوة الجسمانية إذ لها تأثيرها ووقعها في الآخرين لذلك سوف أحاول أن أتبين إيحاءات الجسد القوي عبر فقرات هذا المبحث ولكن قبل هذا عليَّ أن أبين أن السُنّة النبوية قد جاءت حاثة على القوة، من ذلك قول النبي (ﷺ): (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف في كل خير)[٦٦] أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وأن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو

تفتح عمل الشيطان[٦٧]، فالمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها ونحو ذلك[٦٨]، وغير ذلك من الأحاديث النبوية التي تحدثت عن القوة وبناء الجسد القوي وإيحاءات القوة في الجسد القوي تتمثل فيما يأتي:

١-إيحاء الخوف والإجلال في الجسد القوي: الجسد إذا كان قوياً تام البنية بعث رسالة إلى المقابل تتمثل في الخوف والإجلال والرهبة وجدنا هذا المعنى متمثلاً في قصة موسى (عليه السلام) قال تعالى:﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[٦٩] فقد عرفت هذه الفتاة قوة موسى (عليه السلام) من خلال سقيه الماء لها ولأختها فأثارت قوته الإعجاب والإجلال في نفسها أما الخوف والرهبة فكان من قبل الرعاة إذ فتحوا لسيدنا موسى المجال حتى يسقي للفتاتين فالقوة عملت عملها عند الطرفين، فعند الفتاة كانت مصدر إعجاب وإجلال وعند الرعاة كانت مصدر خوف ورهبة وهذا أن الإيحاءان اللذان أعطاهما مصدر القوة الواحد تمثل في أن الفتاة تشكل جانب الضعف وبحاجة إلى قوة تدعمها فكانت قوة سيدنا موسى (عليه السلام) مصدر أعجاب لهما بينما الرعاة كانوا هم المسيطرون على البئر نظراً لقوتهم في مقابلة الفتاتين لكن لما كان موسى هو الأقوى خاف القوي من الأقوى[٧٠]، وأحياناً تتمثل الرهبة والخوف والإجلال في الجسد عن طريق اجتماع الأجساد صفاً واحداً وجدنا ذلك في وصف القرآن الكريم المؤمنين على أن يكونوا في القتال صفاً واحداً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[٧١] فانتظام الصفوف يبعث برسالة إلى الطرف الآخر تدل على الخوف والجلال بل أن ترتيب الصفوف يكون إيحاءً بعيداً حتى وإن كان في غير الجسد البشري، قال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[٧٢] فلم تكن هناك فرجات بين الأنواع وإن كانت منفصلة يتبع بعضها بعضاً والانتظام صفوفاً يورث الهيبة والجلال في نفوس الناظر ففي يوم القيامة تنزل الملائكة من السماء صفوفاً متتابعة تبعث على الخوف والإجلال والرهبة، قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[٧٣]، وقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[٧٤] والصف المتراص والجسد المتلاحم دلالة على الوحدة والقوة فهذا فرعون يأمر السحرة أن يأتوا صفاً واحداً ليرهبوا بمنظرهم وحركتهم موسى (عليه السلام) وليزرعوا الإعجاب والإكبار في نفوس عامة الشعب بل أن السحرة أنفسهم كانوا أصحاب هذا الأسلوب، قال تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾[٧٥] فانتظام الصفوف له أثره في إعطاء دلالة وإيحاء الخوف والإجلال والرهبة[٧٦]، وأحياناً ينقلب الخوف من قوة الجسم إلى جبن ومعصية وتخاذل عن الأمر وهذا ما شاهدناه في

قصة بني إسرائيل فقد أرعبت قوة الجبارين بني إسرائيل فامتنعوا عن دخول الأرض المقدسة، قال تعالى:﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾[٧٧][٧٨] لقد أمرهم الله بدخول الأرض المقدسة فما كان منهم إلاّ أن جبنوا وبلغ بهم الخوف من الجبارين مبلغاً أقعدهم عن إجابة هذا النداء والاستجابة للأمر معلنين ذلك (أن في الأرض المقدسة التي تأمرنا بدخولها قوماً جبارين لا طاقة لنا بحربهم ولا قوة لنا بهم فسموهم جبارين لأنهم كانوا لشدة بطشهم وعظيم خلقهم فيما ذكر لنا قد قهروا سائر الأمم غيرهم)[٧٩]، وهكذا يتحول الخوف من هيئة الجسم وقوته إلى جبن وخور كما شاهدناه عند بني إسرائيل فهم قد جبنوا على أنهم أمام الخطر لا بقية لهم من تحمل ولا محاولة للتشجيع ولا مجال للتحمل فهو الجبن والخنوع. ومن صور القوة الجسدية ما يبعثه الجسد من نور بالهيئة والهيبة هي الإجلال والمخافة وهي أسما من التعظيم فهي الخوف الذي منشأه التعظيم وتتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته وعظمته وجلاله وتقصير العبد في حقه[٨٠]، والهيبة هي أثر(من آثار امتلاء القلب بعظمة الله ومحبته وإجلاله فإذا امتلئ القلب بذلك حل فيه النور ونزلت عليه السكينة ولبس رداء الهيبة فأكتسى وجهه الحلاوة والمهابة فأخذ بمجامع القلوب محبة ومهابة)[٨١]. فالهيبة هي ذلكم التأثير الذي يستشعره الإنسان من نفسه ما أن ينظر إلى الآخر الذي كسب قوة في الجسم وحلاوة في المظهر وقد حدثنا القرآن الكريم عن صور من هذه الهيبة ما رأيناه في قصة أصحاب الكهف والتي يقول فيها سبحانه وتعالى:﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾[٨٢] أي ملئت منهم فزعاً وخوفاً[٨٣]، وسبب هذا الرعب اختلف فيه المفسرون فمنهم من يرى أنه بسبب هيئتهم الجسمانية فقد طالت شعورهم وأظافرهم وبقيت أعينهم مفتوحة وهم نيام فلهذا السبب لو رآهم الرائي لهرب منهم مرعوباً وقيل : لما ألبسهم الله من الهيبة[٨٤]، والذي يترجح عندي والله أعلم أن هذا الفرار إنما يكون بسبب ما ألبسهم الله من الهيبة والسبب وراء ذلك أن سياق القصة يفصح عن هذا بدليل أنهم لما استيقظوا لم يستغربوا من طول شعورهم وأظافرهم لذلك قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فلو كان التغيير بادياً عليهم لما قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم وكذلك فإنهم لما استيقظوا ظنوا أنهم ما زالوا في العصر نفسه الذي ناموا فيه فطلبوا من أحدهم أن يذهب ليشتري طعاماً لهم لما معهم من ورق وليأخذ حذره لأن لا يعثر عليه الملك أو أحد أتباعه فلو كانت هيئتهم متغيرة لما فعلوا هذا الأمر وليستغربوا من أنفسهم فهم بسبب ما اكتسوا به من الإيمان ألبسهم الله رداء الهيبة[٨٥] فلا يقع بصر أحد عليهم إلاّ امتلئ بالرعب فلا يدنوا منهم أو يلمسهم فذلك حكمة من الله حتى يقضي الله أمره فيهم فالله ألقى (عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلاّ هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لأن لا يدنوا منهم أحد ولا تمسهم يد لامس حتى يبلغ

الكتاب أجله وتنقضي زفرته التي شاء تبارك وتعالى فيهم لما له في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة)[٨٦] فهذه صورة من صور المهابة التي يبعثها الجسد بما فيه من قوة جسدية وإيمانية وهذه المهابة الإيمانية التي يرسمها الجسد وجدناها في قصة سليمان (عليه السلام) فقد هاب كلاً من الأنس والجن الاقتراب من سليمان رغم أنه مات وظلوا يخدمونه وخشوا من الاقتراب منه حتى سلط الله دابة الأرض تأكل منسأته مما جعلهم يعترفون بعجزهم حيث يقول الله عز وجل في ذلك:﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[٨٧] فهي صورة من صور الهيبة التي يقذفها الله في قلوب الآخرين بسبب قوة الإيمان في جسد المهاب وقد تمثلت هذه الهيبة واضحة بينة في سيرة الرسول (ﷺ) من ذلك ما يروى أن رجلاً كلم النبي (ﷺ) يوم الفتح فأخذته الرعدة فقال النبي (ﷺ): (هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحاء)[٨٨].

وإن هيبة الإيمان التي تمنح المؤمن حماية من حيث تأثيرها فيمن حوله فلا يتجرأ أحد على إيذائه بل أن العدو دوماً يخافه ولا يستطيع مواجهته فهذا يؤكد قول الله عز وجل:﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[٨٩]، وأحياناً لا تكون الهيبة في الجسد فقط وإنما الثوب والملبس والزينة وهذا مما لا يدخل ضمن إطار بحثنا فبحثنا نتحدث فيه عن الجسد ومتعلقاته، فهذا الإيحاء الأول الذي يتمثل بالخوف والرهبة والإجلال، والخوف أحياناً يكون خوفاً من غير جبن ولكنه احتراماً للقوة المقابلة وأحياناً لينقلب الخوف إلى جبن ومعصية وتخلف عن الأمر.

٢-إيحاء النعمة في قوة الجسد: جاءت آيات تحدثنا عن نعمة القوة في جسد الإنسان وكيف أن الله سبحانه وتعالى يمنن على الإنسان بهذه النعمة فيجب على الإنسان أن يردف ذلك بشكرها أن يطغى فيها، قال تعالى:﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٩٠] الآية تذكير من سيدنا هود (عليه السلام) لقوم عاد الذي أرسل إليهم ببعض نعم الله عليهم والتي منها (إعطائهم قوة في الأجسام وضخامة بحكم نشأتهم الجبلية)[٩١] فهذه الزيادة كانت تحديداً في القوة البدنية[٩٢]، ولقد كانت كبيرة غير معتادة وإلاّ لما كان لذكرها في معرض الأنعام فائدة[٩٣]، وهذا سيدنا موسى قد أوتي قوة الجسم، قال تعالى:﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾[٩٤] فبمجرد الوكز منه أي الطعن بجميع الكف[٩٥]، أدى إلى مقتل القبطي الفرعوني بيده وقد كانت قوة موسى من قوى ربه ولم يكن يقصد قتله[٩٦]، هذا هو التأثير الذي تتركه القوة في أجساد الآخرين إنها نعمة من الله فينبغي أن تصرف فيما أمر به الله سبحانه وتعالى فهذا إيحاء آخر من إيحاءات الجسد القوي تمثيل بالنعمة.

٣-إيحاء الملك وقوة الجسم: القوة الجسمانية تكون مؤهلاً قوياً لتقلد زمام الملك ذلك أن الملك أو الأمير أو الوالي كلما كان صاحب جسامة بعث الإجلال والوقار له ولملكه في نفوس الآخرين، وجدنا ذلك متمثلاً في قصة طالوت، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٩٧]، فالنص يبين لنا الشروط التي تتوفر في الإنسان حتى يسود ويكون ملكاً وهذه الشروط تتمثل في:

١-الاستعداد الفطري للشخص قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴾.

٢-السعة في العلم الذي يكون به التدبير، قال تعالى:﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ ﴾.

٣-بسطة الجسم المعبر بها عن صحته وكمال قواه المستلزم ذلك صحة الفكر.

٤-توفيق الله الأسباب له وهو المعبر عنها بقوله:﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [٩٨].

وقدم بسطة العلم على بسطة الجسم وذلك للتنبيه (على أن الفضائل النفسية أعلى وأشرف وأكمل من الفضائل الجسمانية)[٩٩] والمراد ببسطة الجسم هو القوة؛ لأنه هو المنتفع به في دفع الأعداء أي القوة والشدة[١٠٠]، فتأثير قوة الملك الجسمانية فيمن حوله تكون في أن:

١-الجسامة تكسب الملك الإجلال والوقار[١٠١].

٢-أن قوة القائد في أرض المعركة تؤدي لثباته أمام العدو بما يثبت جنوده ويرهب عدوه[١٠٢]، وكذلك فإن القوة الجسمانية تجعل القائد أكثر أتباعاً فلا تقاوم سلطته[١٠٣]، تلك هي إيحاءات الجسد من ناحية القوة كيف أنها تبعث على الخوف والرهبة واستواء الملك وبروز أثر النعمة.

الخاتمة

الحمد لله تعالى الذي أعانني ووفقني لإتمام هذا البحث، وفي نهايته لا بد من وضع خلاصة تتضمن نقاط عدة تمثل أهم النتائج:

١- أن التواصل بين الناس لا يتم من خلال الكلام فقط، وإنما يشمل صوراً أخرى من أهمها إيحاء الجسد.

٢- أن القرآن الكريم عمل على تنوع الطرق التي يتم بها وصول المعاني للسامع ولم يقف عند حد الكلام وإنما تضمن مواقف يتم فيها توظيف إيحاء الجسد وبيان أهميته في التواصل.

٣- إن الإشارات وحركات الأعضاء تلعب دوراً كبيراً في عملية التواصل بين الناس.

٤- إن حركات الوجه واليدين لهما دور مهم في عملية التواصل إذ يشكلان أداة لإيصال الأفكار للآخرين.

٥- إن إيحاء الجسد رغم ارتباطه بالكلام إلاّ أنه يعمل منفرداً ويؤدي المعنى كاملاً دون كلام بدليل أن الإشارة عند الصم والبكم تكون بديلاً للكلام.

٦- بين البحث أن جمال الجسد وهيئته له أثر كبير في الناس.

٧- إن القوة في الجسد تعد من متممات البناء للجسد فللقوة تأثير كبير على الآخرين.

الهوامش

(١) يُنظر: لغة الجسد في القرآن الكريم ، أُسامة جميل عبد الغني رباعية، رسالة ماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، إشراف: د. عودة عبد الله :١.

(٢) سورة مريم، الآية : ٢٩.

(٣) سورة آل عمران، جزء من الآية : ٤١.

(٤) غرر الفوائد ودرر القلائد، الأمالي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م:٢/٢٠٥.

(٥) لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت:٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م:٣/١٢٠.

(٦) يُنظر: لغة الجسد، كليتون بيتر، ترجمة دار الفاروق، مصر، ٢٠٠٥: ٦.

(٧) الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن والسُنّة، عودة عبد عودة عبد الله، مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، العدد (١١٢)، ٢٠٠٤م: ١-٢.

(٨) سورة مريم، الآية:٢٩.

(٩) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت - ١٤٠٤هـ: ٥/٢٢٨.

(١٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمود الآلوسي، (ت:١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت:١٦/٨٨.

(١١) سورة آل عمران، جزء من الآية:٤١.

(١٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، دار المعرفة - بيروت: ١/٣٨٩.

(١٣) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت:٥١٦هـ)، ط٤، دار طيبة، المدينة المنورة، ١٩٩٧م: ٢/٣٦.

(١٤) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، محمد الأمين موسى أحمد، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٣م:٤٠.

(١٥) المصدر نفسه:١٠٩٦.

(١٦) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم:١٠٩٧.

(١٧) سورة الأنعام، جزء من الآية:٣٨.

(١٨) يُنظر: لغة الجسد في القرآن الكريم : ١٤.

(١٩) يُنظر: الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم:١٨.

(٢٠) الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق، نضال أبو عياش، الناشر كلية فلسطين التقنية/ العروب – ٢٠٠٥م:١١٩.

(٢١) يُنظر: الرجولة عماد الخلق الفاضل، حمزة شحاتة، دار تهامة للطبع، جدة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م:٢٥.

(٢٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله(ﷺ):١٤٥/١.

(٢٣) القصة في القرآن الكريم مقاصد الدين وقيم الفن، محمد قطب، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة:١٢٧.

(٢٤) سورة يوسف، الآيات :٢٣-٢٩.

(٢٥) يُنظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن عاشور(ت:١٢٨٧هـ)، الدار التونسية للنشر، دار الجماهير للنشر والتوزيع، د.ت:٢٥٠/١٢، والمستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة دار الفكر، بيروت . لبنان، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م:١٧٩/٧.

(٢٦) يُنظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت : ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت:١٢٥٢/٦.

(٢٧) يُنظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، عفيف عبد الفتاح طبارة، المكتبة العلمية، بيروت ، د.ت:١٦١، وعظمة الأنبياء بين الإسلام واليهودية والنصرانية، د. خالد السيوطي، مركز الكتاب للنشر، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م: ٤٠-٤١.

(٢٨) يُنظر: التفسير القرآني للقرآن:١٢٥٣/٦، وفي ظلال القرآن، لسيد قطب (ت:١٣٨٧هـ)، ط٢٦، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م: ١٩٨٠/٤، والمستفاد من قصص القرآن:١٨.

(٢٩) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري(ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، كتاب الآذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة فضل المساجد: ١٣٣/١، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصلاة: ٧١٥/٢.

(٣٠) يُنظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني(ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت – لبنان: ١٤٥/٢.

(٣١) سايكولجية القصة في القرآن، نقرة التهامي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٤م:٤٠٩.

(٣٢) سورة يوسف، الآية:٣٠.

(٣٣) يُنظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ)، مطبعة حجازي: ٢٣٩/١٢، الصورة الفنية في القصة القرآنية، بلحسيني نصيره، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايز . تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية :١٣٧.

(٣٤) سورة يوسف، الآية:٣١.

(٣٥) القصة في القرآن الكريم:١٣٩.

(٣٦) يُنظر: الكشاف:٤٣٨/٢.

(٣٧) يُنظر: مفاتيح الغيب المشهور بـ (التفسير الكبير)، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي(ت:٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م: ١٠٢/١٨.

(٣٨) يُنظر: التحرير والتنوير:٢٦٣/١٢.

(٣٩) يُنظر: في ظلال القرآن الكريم:١٩٨٤/٤.

(٤٠) سورة يوسف، الآية:٣١.

(٤١) يُنظر: الكشاف:٤٦٦/٢.

(٤٢) سورة هود، الآية:٧٧.

(٤٣) يُنظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم:١٤٤–١٤٥، وصحيح قصص القرآن، حامد أحمد الطاهر البسيوني، دار الحديث للنشر، القاهرة، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٥م:١٩٢.

(٤٤) سورة هود، جزء من الآية:٧٨.

(٤٥) يُنظر: التحرير والتنوير:١٢٦/١٢.

(٤٦) يُنظر: زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، بيروت ، د.ت.ط:٣٧٣٥/١.

(٤٧) سورة الأحزاب، الآيتان:٤٥–٤٦.

(٤٨) التحرير والتنوير:٥٤/٢٢–٥٥.

(٤٩) سورة القلم، الآية:٤.

(٥٠) يُنظر: مفاتيح الغيب:٦٠١/٣٠.

(٥١) سورة الأنفال، جزء من الآية:١٧.

(٥٢) سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، باب صفة النبي (ﷺ) وقال الترمذي: حديث غريب وحكم الألباني بضعفه: ٦٠٠٤/٥.

(٥٣) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه:١١٠/٨.

(٥٤) يُنظر: السيرة النبوية لابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميدي المعافري(ت:٢١٣هـ أو ٢١٨هـ)، طبعة جديدة منقحة ومرتبة، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م: ١٦٠/٤.

(٥٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي (ﷺ):١٨٨/٤.

(٥٦) يُنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، دار الفكر، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م:٥٨٧–٥٨٨.

(٥٧) سورة البقرة، جزء من الآية:١٦٥.

(٥٨) سورة فصلت، جزء من الآية:١٥.

(٥٩) سورة الذاريات، الآية:٥٨.

(٦٠) سورة البقرة، جزء من الآية:٦٣.

(٦١) سورة البقرة، جزء من الآية:٩٣.

(٦٢) سورة الأنفال، جزء من الآية:٦٠.

(٦٣) سورة التوبة، جزء من الآية:٦٩.

(٦٤) سورة الروم، جزء من الآية:٩.

(٦٥) سورة الروم، جزء من الآية:٥٤.

(٦٦) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله:٢٠٥٢/٤.

(٦٧) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري(ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: أحمد السيد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٧١م:٢٧٤–٢٧٥.

(٦٨) يُنظر: شرح محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، د.ت:٢٠٥٢/٤.

(٦٩) سورة القصص، الآية:٢٦.

(٧٠) يُنظر: صحيح قصص القرآن الكريم:٣٠٠-٣٠١.

(٧١) سورة الصف، الآية:٤.

(٧٢) سورة النمل،الآية:١٧.

(٧٣) سورة النبأ، الآية:٣٨.

(٧٤) سورة الفجر، الآيتان:٢١-٢٢.

(٧٥) سورة طه، الآية:٦٤.

(٧٦) يُنظر: من أساليب التربية في القرآن الكريم، عثمان قدري مكانسي، دار بن حزم، ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م: ٢٤.

(٧٧) سورة المائدة ، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٧٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري(ت:٣١٠هـ)، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر:١٠/١٧١.

(٧٩) يُنظر: في ظلال القرآن:٢/٨٧٠.

(٨٠) يُنظر: موسوعة فقه القلوب، محمد التوجري، قام بتنسيقه وفهرسته علي بن نايف الشحود، دار الفكر ، بيروت . لبنان د.ت: ١١/٩٤.

(٨١) الروح، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت:٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، د.ت:٢٣٥.

(٨٢) سورة الكهف، الآية:١٨.

(٨٣) يُنظر: مفاتيح الغيب:٢١/٨٦.

(٨٤) يُنظر: الكشاف:٢/٦٦٢، ومفاتيح الغيب:٢١/٨٦.

(٨٥) يُنظر: مع قصص السابقين في القرآن، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط٥، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ . ٢٢٠٧م:٣٠٩.

(٨٦) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت:٧٧٤هـ)،ط٢، مطبعة دار الحديث، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م:٥/١٤٥.

(٨٧) سورة سبأ، الآية:١٤.

(٨٨) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي

الطهماني النيسابوري (ت:٤٥٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م:٦/٢، باب تفسير سورة ق وعلق عليه الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٨٩) سورة الحشر، الآية:١٣.

(٩٠) سورة الأعراف، جزء من الآية:٦٩.

(٩١) في ظلال القرآن:١٣١١/٣.

(٩٢) يُنظر: جامع البيان:٥٠٥/١٢.

(٩٣) يُنظر: مفاتيح الغيب:١٢٨/١٤.

(٩٤) سورة القصص، الآية:١١٥.

(٩٥) يُنظر: تفسير مجاهد، أبو الحجاج، مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ. ١٩٨٩م:٥٢٥.

(٩٦) يُنظر: صحيح قصص القرآن : ٢٩٧.

(٩٧) سورة البقرة، الآية:٢٤٧.

(٩٨) يُنظر: تفسير القرآن الحكيم:٣٧٨/٢.

(٩٩) مفاتيح الغيب:١٤٨/٦.

(١٠٠) المصدر نفسه:١٤٨/٦.

(١٠١) يُنظر: الكشاف:٣٢٠/١.

(١٠٢) يُنظر: التحرير والتنوير:٤٩١/٢.

(١٠٣) يُنظر: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، إبراهيم أبو عرقوب، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م:١٩٣.